

التوسع الاستعماري الفرنسي و سياسة الاستيعاب

خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر

✍️ أ/- عبد الحكيم به توكية

أستاذ محاضر ب

المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة- الجزائر

Résumé

L'expansion coloniale Française et la politique d'assimilation du seizième a la fin du dix-septième siècle. L'expansion coloniale pour le Roi français François I (1494-1547) était de concurrencé Charles cinq(1500-1558) de l'Espagne en Or et acquérir des colonies pour la France dans le nouveau monde, on confiant la première mission a jacques cartier(1491-1557) en 1534. Après le deuxième voyage François I décida d'envoyer une mission de colonisation composée de deux Escadre, la première conduite par Jacques Cartier, et la deuxième sous la conduite de Jean-François de la Rocque de Roberval(1500-1560). Malgré l'échec de l'opération de la colonisation et de peuplement, Le Nord-Américain était pour François I et Cartier une terre de cocagne, ou il aurait tout intérêt à prendre pied et la rendre une terre chrétienne française, qui c'est réaliser avec Samuel Champlain (1567-1635) qui fonda Québec en 1608 dit « Nouvel France». Ce projet prometteur sera maintenu par les plans de peuplement de Richelieu (1585-1642) et Colbert (1619-1683). Ces plans seront soutenus par l'église catholique. Et on remarque bien que le peuplement était bien recruté dans les habitants de l'ile de France et l'ouest de la France afin d'implanter la coutume de paris, et enfin pour rivaliser les colons Anglais très nombreux. Mais aussi le plus important pour la France était que ces terres devaient donner l'occasion de se survivre dans son sang, dans son génie et dans son âme jusqu'au-delà mer océane, et les canadiens français n'ont

الكلمات المفتاحية : فرانسوا الأول- جاك كارتيه- فرنسا الجديدة- كندا الفرنسية- صامويل

شامبلين- قبائل الإيروكوا- أفريقية- ريشيليو- كولبير- سياسة الاستيعاب

الآخرين، و أنّه يود كثيرا أن يرى وصية آدم ليعرف كيف قسّم العالم بين أولاده...»⁽¹⁾

تمهيد:

دفع تدفق الثروة من ذهب و فضّة من العالم الجديد إلى إسبانيا خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الملك فرانسوا الأول و الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية و الأوساط المهتمة بالمال و الثروة إلى عدم الالتزام بما جاء في معاهدة تورديسيلاس مما أدى إلى تزايد حدّة المجاهدة بين فرنسا و إسبانيا⁽²⁾، الأمر الذي دفعهم إلى الشروع في وضع خطط و تحضير مشاريع لاحتلال و تملكّ و استغلال أراضي و ثروات الآخرين مثلما فعله الإسبان، دون أي اعتبار و حساب لها، و هذا ما صرّح به فرانسوا الأول لسفير إسبانيا بقوله: أنّ كل أرض حرّة يمكن احتلالها. و زاد الأمر إيضاحا في ردّه على السفير الإسباني قائلا: أنّه لا يكفي عبور الأرض أو «اكتشافها» على مرمى البصر لكي تصبح بحكم الأمر الواقع، «ملكية أجنبية» بل يمكن على العكس أن تعتبر الأراضي المعمورة بالسكان و المحصّنة أراضي أجنبية. و المقصود بالأراضي المعمورة بالسكان و المحصّنة هي الأراضي التي يحتلها الأوربيون و يعمّرونها و يدافعون عنها.⁽³⁾

و بذلك كان فرانسوا الأول (1494-1547) أول من يصوغ نظرية الاحتلال الدائم التي ستمكّن الفرنسيين من إقامة «فرنسا الجديدة» في المنطقة أي كندا اليوم. لقد كان الأمر الذي يشغل بال الملك فرانسوا الأول هو الذهب، و من أجله قرّر الملك المساهمة بقيمة معتبرة في تكاليف الرحلة الأولى لجاك كارتيه (1491-1557) قدرها ستة آلاف (6000) جنيه توري⁽⁴⁾. أفلح كارتيه من ميناء سانت مالو في 21 أفريل 1534 بسفينتين حمولة كل واحدة منها ستون (60) برميلا و على متن كل واحدة منها ستون (60) رجلا قاصدا الأرض الجديدة⁽⁵⁾، التي وصلها يوم 10 ماي 1534.

دخلت فرنسا ميدان التوسع الاستعماري فيما وراء البحر متأخرة عن البرتغال و إسبانيا بسبب حرب المائة سنة (1337-1453)، ثم انشغالها باستكمال وحدتها الداخلية و أطماعها في أراضي جيرانها الإيطاليين. لكن هذا كله لم يحل دون أن تقيم فرنسا و تستفيد من تجارة التوابل و التوسع في البحر المتوسط و المحيط الأطلسي على الخصوص في عهد الملك فرانسوا الأول (1515-1547) و استعادة أجداد أسلافهم الرومان.

فرانسوا الأول و مشاريع التوسع في العالم الجديد أفريقيا:

استثارت مغامرات البرتغال و الأسبان من التوابل و الذهب و الفضّة القادمة من آسيا و العالم الجديد بالخصوص الفرنسيين الطامعين من جهتهم في خيرات الآخرين لكن معاهدة تورديسيلاس المبرمة بين البرتغال و إسبانيا يوم 07 جوان 1494م برعاية الكنيسة الكاثوليكية بقيادة ألكسندر السادس (1492-1503) كانت تشكل عقبة قانونية أمام طموحات الملك فرانسوا الأول الذي كان يريد أن يمتلك «الهند» الخاصة به. و لذلك وجب عليه تجاوز عقبة معاهدة تورديسيلاس التي لم تكن تعترف إلا بإسبانيا و البرتغال، و هو ما قام به فرانسوا الأول عندما أثار الشكوك حول سلامة الأساس الذي يقوم عليه التشريع البابوي في المسائل الدنيوية، بقوله لسفير إسبانيا: أنّ للباباوات سلطة قانونية روحية، و أن كان لا يدخل في اختصاصهم أن يوزعوا الأراضي بين الملوك، و خاصة أنّ ملوك فرنسا و غيرهم من الملوك المسيحيين لم يدعوا إلى الاشتراك في المشاورة عندما تمّ التقسيم. و أضاف قائلا: أنّ الشمس تشرق عليّ كما تشرق على

العام جاك كارتبييه، الثانية هرمين الصغيرة la petite Hermine حملتها ستون (60) برميلا، أما السفينة الثالثة المسماة إميريو الميناء bÉmerillon du port حملتها أربعون (40) برميلا، أفلعت السفن الثلاث يوم 19 ماي 1535م و على متنها مئة و عشرة رجال من تخصصات مختلفة و متنوعة قادرون على بناء المنازل و معالجة المرضى، و المتفرغين لحياة القرية، و استخدام الفرو، و تنصير الأهالي. أما الشبان الأهليان اللذان رافقا كارتبييه إلى فرنسا، فخلال فترة تحضير الرحلة الثانية التي دامت ثمانية (8) أشهر كاملة كان لهما الوقت لمعرفة فرنسا و الفرنسيين بما فيه الكفاية لإخبار الأهالي الآخرين عند عودتهم.⁽⁸⁾

استغرقت الرحلة مدة ستة و ستين (66) يوما للوصول إلى مصب نهر سانت لوران لتبدأ عملية استكشاف و وصف و تعريف المنطقة بأكثر دقة و تفاصيل، و خلال عمله حرص كارتبييه على حسن معاملة السكان و انتهاج سياسة الاختراق السلمي للأهالي. واصل كارتبييه سيره نحو محلة (مدينة) هوشيلاجا الأهلية Hochelaga و على مشارفها يوم 04 أكتوبر 1535م أطلق كارتبييه على الجبل اسم « مونرويال » Mont Royal، و عند سفح هذا الجبل ارتفعت مدينة مونتريال Montréal تبعا لأوامر فرانسوا الأول.

لم يستطع كارتبييه مواصلة كشوفاته أبعد من محلة هوشيلاجا و عاد إلى حصن الحملة بسانت كروا، و هناك عاشت البعثة شتاء صعبا من 15 نوفمبر 1535 إلى 15 أبريل 1536 بسبب البرودة الشديدة و مرض الإسقربوط⁽⁹⁾ الذي تسبب في وفاة خمسة و عشرين (25) رجلا. و عشية عودته إلى فرنسا أقر كارتبييه يوم 03 ماي 1536م حيازة أرض كندا بإقامته صليب ثالث ارتفاعه خمسة و ثلاثون (35) قدما. و لإرضاء ملكه أخذ معه عند عودته إلى سانت مالو

و مرّ جاك كارتبييه بإزاء ساحل لابرادور Labrador، و سار على ساحل القارة و اتجه نحو الجنوب الغربي حيث وجد ميناءين صالحين لرسو السفن سماهما «سانت أنطوان» Saint-Antoine و « سانت سرفان » Saint-Servan و في هذا الميناء قام في 12 جوان 1534 بأول عمل للمسيحية بإقامته أول صليب على القارة الكندية، هذه البادرة تؤكد حسب عادة ذلك الوقت أنّها حيازة حقيقية للمنطقة⁽⁶⁾ واصل جاك كارتبييه رحلته و تغلغل في خليج جاسبي Gaspé و على ذروة ربوة تتحكم في مدخل الخليج نصّب يوم 24 جويليه 1534 صليبا ثانيا ارتفاعه ثلاثون قدما و قد نقش عليه عبارة « يحيا ملك فرنسا»، كان صليب جاسبي يمثل شهادة ميلاد كندا الفرنسية أو «فرنسا الجديدة». و كدليل ملموس لرحلته إلى الأراضي غير المعروفة أخذ معه إلى فرنسا شاوين أهليين سيكونان فيما بعد مساعدين ثمينين لاستعمار البلد، و قفل عائدا إلى سانت مالو Saint-Malo بفرنسا التي وصلها في 5 سبتمبر 1534.⁽⁷⁾

شرع جاك كارتبييه منذ وصوله في تحضير الرحلة الثانية من أجل إتمام الاكتشافات بقصد استغلال الأراضي و ثرواتها و منها الذهب، و كما جرى في الرحلة الأولى قرّر الملك فرانسوا الأول المساهمة في تكاليف هذه البعثة بقيمة مالية قدرها ثلاثة آلاف (3000) جنيه توري لتجهيز و تزويد البعثة بالمؤونة الضرورية الكافية مدة خمسة عشر (15) شهرا. عرف تحضير و تجهيز البعثة صعوبات كبيرة في تجنيد طاقمها بسبب تخوف مجهّزي السفن من ضياع تجارتهم و خسارة امتيازاتهم أيضا التي كانوا يتمتعون بها في الصيد البحري بالأرض الجديدة. ضم الأسطول البحري ثلاث سفن مختلفة الأحجام المسماة هرمين الكبرى la grande Hermine حملتها من مئة (100) إلى مئة و عشرين (120) برميلا و على متنها القائد

من الزمن الغني الكبير للزراعة الكندية. و لإثبات حقوق فرنسا على هذه الأراضي ترك في ثلاثة أماكن لأراضي معروفة ثلاثة صلبان دالة، تبعا للعرف المسيحي، على حيازة الملكية و مبيّنة الأراضي المفتوحة (المغزوة)، و هي: (1) منطقة لبرادور التي نصّب بها صليب سانت سرفان في 12 جوان 1534. (2) منطقة جاسبي التي أقيم بها صليب يوم 24 جويلية 1534.

(3) منطقة هوشيلغا التي وضع بها صليب سانت شارل في 03 ماي 1536 عند ملتقى نهر ليريت Lairet و سانت شارل.

و لضمان نجاح البعثات المستقبلية صاغ كارتية بنفسه مفردات لفظية لأهم الكلمات و العبارات الشائعة للغة شعب الهيرون.⁽¹³⁾

بدأ كارتية بعد وصوله إلى فرنسا في جويلية 1536 التفكير في تنظيم حملة في المستقبل القريب لاستعمار المنطقة و استغلال ثرواتها المختلفة، و من أجل ذلك بدأ مفاوضات و مساعيه للحصول من الملك فرنسوا الأول على تعويضات للسلف التي ساهم بها في إعداد و تجهيز الرحلة الثانية، و عطايا و مكافآت لآتباعه و للإنجازات التي قام بها. و بعد مفاوضات و مساع، لم يحصل كارتية إلا على نتف و أقسام لبعض التعويضات⁽¹⁴⁾، منها: حصوله، من خلال قرار أصدره الملك فرانسوا الأول بتاريخ 10 ماي 1537م، أي بعد حوالي سنة من عودته إلى فرنسا، على هدية متمثلة في السفينة هيرمين الكبرى ذات حمولة من مئة (100) إلى مئة و عشرين (120) برميلا مع كل تجهيزاتها و عتادها الحربي، فالهدية هذه في حدّ ذاتها كانت مهمة، لكن مراعاة للعمل الذي قام به كارتية كانت تمثّل شيئا قليلا.⁽¹⁵⁾

شرع كارتية بمهمة و إرادة صلبة في وضع مخططات و مشاريع لتجسيد أفكاره و تصورات الخاصة

سنة أفراد من سكان المنطقة كإثبات لاكتشاف اعتبره أكثر خصوبة من كل ذهب العالم. و في يوم 06 جويلية 1536 وصل كارتية إلى مرسى سانت مالو بسفينتين فقط مغلّفا وراءه بحصن سانت كروا سفينة هرمين الصغيرة بسبب نقص أفراد الطاقم.⁽¹⁰⁾

لقد كانت حصيلة الرحلة الثانية لجاك كارتية من 16 ماي 1535 إلى 06 جويلية 1536 متنوعة. منها حيازة الملكية، و جرد بتفاصيل دقيقة للثروات و إمكانية إنشاء منطقة للتعمير تمتد على مئات الكيلومترات على هذه الأراضي، و كذلك إثباته صلاحية نهر سانت لورانت للملاحة على مسافة حوالي سبعمائة (700) كلم، و أيضا أدرك من النظرة الأولى الموقعين اللذين سيكونان حاضرتين لكندا و هما كيبيك و مونتريال، كما أنّه أتمّ بعناية جرد موارد و ثروات فلاحية و بحرية، و طبيعة الأماكن و ثراء الأرض الغابة، و وسائل الزراعة المستعملة.

لقد كان كارتية جدّ حذر في تقريره حول الموارد المعدنية، لكنّه احتفظ بالأمل، في العثور على الياقوت الأحمر و الذهب و الماس بالذهاب بعيدا نحو الغرب، و هي الفكرة الثابتة لدى كل مكتشفي ذلك الوقت. إنّ فكرة متابعة الطريق نحو الغرب من أجل إيجاد معبر نحو كاتاي⁽¹¹⁾ تلاشت شيئا فشيئا و تحولت إلى مخطط لاستعمار أراضي كندا، و بناء فرنسا جديدة.⁽¹²⁾

و من أجل تجسيد هذا المشروع الطموح ميدانيا لم يهمل كارتية قضية سكان المنطقة و أنجز دراسة عنها خلص من خلالها أنّه لا شيء يمكن عمله دون روح تعاون، و كان يرى إذا كان يليق تحضير مخطّط لتحسين قيمة الأشياء، يعني الثروات، فإنّه ينبغي بالخصوص الاهتمام بزيادة قيمة الرجال. لقد دوّن خاصية جندي محارب و مقاتل لدى بدو الشمال المتنقلين. و أدرك أيضا أنّه يجب تطبيق، نحو هؤلاء الأهالي، سياسة عادلة مرفقة بحضور قوة عسكرية. لقد توقع قبل ثلاثة قرون

ثمانين (80) إلى مئة (100) برميل، و طاقم مكوّن من مئة (100) إلى مئة و عشرين (120) رجلا. في المجموع القوة البحرية كانت معتبرة تسع (09) سفن حمولتها من خمسمائة (500) إلى ستمائة (600) برميل، و طاقم يضم من مئتين و عشرين (220) إلى مئتين و سبعين (270) رجلا، يضاف إليها النبلاء و الجنود، الحرفيون و مستوطنون من كل الفئات. و تجنباً لكل الصعوبات تم اتخاذ الاحتياطات اللازمة و تم تزويد الحملة بمؤونة كافية لمدة سنتين بما في ذلك الخمر و خمر التفاح، إلى جانب مجموع الأدوات الضرورية لأفراد الحملة، منها الملابس.

كما أنّ الحملة كانت مجهزة بأسلحة مختلفة و عتاد حربي ضروري ليس فقط لتأسيس بفعالية تنظيم دفاعي، لكن زيادة عن ذلك لضمان إعداد تشكيل هجومي عند الضرورة. و من ضمن العتاد الحربي نجد: مدفعية قلعة كاملة مع الذخيرة المناسبة، أربعة (4) زوارق مسلّحة، أربعون صانعا للأسلحة مع الأسلحة المناسبة و الذخيرة، إضافة إلى ذلك ثلاثمائة (300) جندي بأسلحتهم و الذخيرة يبحرون على متن سفن روبرفال، كانت مهمّة هؤلاء تأسيس قاعدة محصّنة بما فيه الكفاية و إعداد تشكيلات خفيفة لضمان توغل سريع و احتلال فعال⁽¹⁹⁾.

و لضمان نجاح الاحتلال و الاستيطان و استغلال الأراضي الفرنسية الجديدة، تضمّن مخطّط الحملة إنشاء حصون و منازل للسكن، و مستودعات للحصيد، و زرائب و إصطبلات، و زرائب خنازير، و خمة. و لتشييد مختلف البنايات و المساكن و القلاع، اصطحبت الحملة معها مختصّين في مختلف المهن الضرورية لذلك، منهم: عشرة (10) بنائين، و ثلاثة (3) كلاسّين⁽²⁰⁾، ثلاثة (3) عمال صانعو القرميد، أربعة (4) حدّادين، و نجّاران مع كل اللوازم و الأجهزة الضرورية.

و بسبب توفّر خشب الأرز و التّوب Sapin الصالح

بالرحلة الثالثة، أو بأدق تعبير الحملة الثالثة، التي أرادها أن تكون مخطّطاً استعماريّاً اقتصادياً، أي مشروعاً لتعمير و استغلال المنطقة بالعنصر الأوربي، فهدف كارتبييه من حملته لم يكن في جوهره نشر المسيحية بل الحصول على الثروة أي السعي وراء الربح، و الحصول على مستعمرات اقتصادية مماثلة لما هو بحوزة إسبانيا و البرتغال و وضع يديه على موارد و ثروات الآخرين بالتوسع و الغزو، ليعرضه على الملك فرانسوا الأول في سبتمبر 1538.

لقي هذا المشروع قبولا حسنا لدى الملك فرانسوا الأول و بعض الأطراف المهمة بالمال و الثروة و الساعية وراء الربح، و لذلك قرّر الملك الدخول في حلبة التنافس الأوربي على مصادر الثراء خارج أوربا في العالم الجديد و آسيا و أفريقيا على غرار الإسبان و البرتغال تحت ستار نشر المسيحية لإسكات غريميه الإسبان و البرتغاليين و إرضاء الكرسي البابوي، و أيضا تجاه شعبه حيث كان يريد البقاء الملك الجدّ مسيحي، و لهذا حمى سياسته الاستعمارية براية المسيح⁽¹⁶⁾.

و لإنجاح هذه الحملة قرّر الملك تعيين صديقه و تابعه جان فرانسوا دي لاروك شيفالييه نبيل روبرفال (1500-1560) نائبا عاما و رئيسا، و عهد إليه إدارة و تنظيم المستعمرة من خلال رسالة براءة⁽¹⁷⁾ أصدرها يوم 06 فيفري 1540 توضّح و تشرح دوره في هذه الحملة، أما جاك كارتبييه فأُسند إليه مهمّة إدارة الحملة البحرية و الاكتشافات و لذلك أصدر رسالة تشرح مهمّة هذا الأخير يوم 17 أكتوبر 1540م⁽¹⁸⁾.

تكونت الحملة من أسطولين، الأسطول الأول بقيادة كارتبييه ضم خمس (5) سفن و طاقم مكوّن من مئة و عشرين (120) إلى مئة و خمسين (150) رجلا، أما الأسطول الثاني الذي أشرف عليه نبيل روبرفال فتشكل من أربع (04) سفن حمولتها من

شارل- رويال، قرّر بناء قلعة لتوفير الحماية و الأجواء المناسبة لاستقرار المستوطنين الجدد، و على ضفاف سانت لورانت أول القادمين إلى فرنسا الجديدة. تنكّر الوافدون الجدد لأهالي و سكان المنطقة الأمر الذي أدى إلى تدهور العلاقات بين الطرفين، بل وصل الأمر بهؤلاء الوافدين الجدد إلى استغلال تفوقهم المادي و امتلاكهم للأسلحة النارية إلى احتقار الهنود و الإساءة إليهم و إهانتهم بل و استغلالهم و استخدامهم دواب و سائمة⁽²²⁾.

عامل المستعمرون الجدد الهنود الحمر معاملة سيئة و ارتكبوا في حقهم مجازر، رغم الاستقبال الحسن و الإنساني الذي حظوا به عند وصولهم، و هو ما يشهد عليه و يرويّه أحد المشتركين في الحملة و هو الأب الكبوشي تيفيت بقوله: «أثّه عند نزولنا إلى الأرض أخذ بعض الشبان من بيننا، لتزجية وقت الفراغ و قتل الوقت يقطعون أذرع و سيقان بعض هؤلاء التعساء، و إن كانت تلك تسليّة شريرة لا مبرّر لها من العقل و تصدر عن نوع من أنواع الطغيان، إلا أنهم قالوا أنّ ذلك كان لتجربة مدى نفاذ سيوفهم و حدّة سناخها، و مع ذلك فقد كان هؤلاء البرابرة التعساء قد استقبلونا استقبالا إنسانيا، بكل عذوبة و صداقة».

انتهت هذه الأعمال إلى إثارة أهل البلد ضد المستعمرات الصغيرة، و استبد الاشمئزاز و الاستياء بكارتييه الذي لم يكن يملك موهبة كبيرة على التنظيم، و ثبت أيضا أنّه كان رئيسا متخاذلا ضعيفا فلم يوقع عقوبة ما على المذنبين. كان قد ترك أعمالا من القسوة لا يمكن إنكارها اقترفها الملاحون في خلال الرحلة السابقة دون عقاب. قرّر كارتيه التعجيل في عودته إلى فرنسا لكي يثمن الفضّة و الذهب⁽²³⁾ الذي وجده في كندا، دون أن ينتظر قدوم دي روبرفال الذي وصل إلى الأرض الجديدة يوم 8 ماي 1542 و التقاه و رفض العودة معه إلى كندا، فقد أثر أن يفترق عنه و أن يغادر

لصناعة صوار سفن لحمولة تزيد عن ثلاثمائة (300) برميل كما لاحظ ذلك جاك كارتيه في رحلته الأولى و الثانية، لذلك ضمّن الحملة أيضا بخارين للسفن. و لخصوبة أراضي فرنسا الجديدة رافق الحملة خمسة (5) فلاحين، و ستة (6) من زارعي الكروم، و عطاران (2) لدراسة الأعشاب و النباتات، يضاف إلى هذا كله حيوانات الجرّ و حيوانات المزرعة، و الدواجن، و البذور، و حبوب متنوعة. كما أنّ نيّة تملك المنطقة و البقاء فيها إلى الأبد، جعل القائمين على الحملة يعطون حرفة تربية الحيوانات ما تستحقه من اهتمام بنقل أكبر عدد ممكن من إناث الحيوانات، فنجد عشرين (20) بقرة مقابل أربعة (4) ثيران، و عشرين (20) جحورا (أنثى الحصان يقابلها أربعة (4) أحصنة فقط، و عشرة (10) خنازير، و مئة (100) خروف، و مئة (100) عنزة، و عشرين (20) حراثا، و عشرين (20) طنبرا (عربية نقل).

كما أن من أهداف الحملة البعيدة نشر البصمة الفرنسية في المنطقة، من خلال تغيير ذهنيات و عقليات سكان المنطقة، و العمل على تربية أجيال حاملة للعقلية الفرنسية المسيحية، و هذه المهمة تولّاها طبيب و شاف (مبرئ) Guérisseur رافقا الحملة نظرا للدور الذي يمكن أن يؤديه كعنصري اختراق و تغلغل لأوساط الأهالي، كما لا ننسى أنّ هذه المهمة أو كلت أيضا إلى ستة (6) من رجال الدين الذي رافقوا الحملة لضمان إقامة الشعائر و تنصير الأهالي⁽²¹⁾.

تأخّر روبرفال في تنظيم و تجهيز ما أوكل إليه في الحملة، في حين أنّ جاك كارتيه أنهى تحضير و تجهيز ما أسند إليه في هذه و لم يشأ الانتظار فغادر ميناء سانت مالو في 23 ماي 1541 على متن خمس سفن عليها بضعة مئات من المستعمرين و مؤن كافية لمدة سنتين. و فور وصوله إلى المنطقة، في موضع قريب من ملتقى سانت لورانت و نهر الرأس الأحمر أطلق عليه اسم

الجزيرة ليلا نحو سانت-مالو⁽²⁴⁾.

Aventure و لاغاليير la Gallaire سنة 1558م.

و في سجلات المؤتقين لمدينة هونفلور تم تسجيل ثلاثين (30) مركبا و سفينة جابت سواحل أفريقيا الغربية ما بين سنتي 1574 و 1583⁽²⁷⁾.

فشل مشروع كارتية التوسعي الاستعماري في كندا 1541-1543 في عهد الملك فرانسوا لم يعد نهائيا الفرنسيين عن المنطقة، فقد استمر وجودهم في كندا من خلال نشاط ملاحى ديبي و سانت مالو في تجارة رائجة و مثمرة هي تجارة الفراء. كما كانت أيضا هناك محاولات فاشلة لتكرار تجربة كارتية في استعمار كندا جرت في البرازيل⁽²⁸⁾ في عهد الملك هنري الثاني (1591-1559) و في منطقة فلوريدا⁽²⁹⁾ في عهد الملك شارل التاسع (1550-1574).

بعد نهاية الحروب الدينية (1562-1598) استأنفت فرنسا مشروعاتها في عهد هنري الرابع (1533-1610) الذي أعطى الضوء الأخضر لصامويل شامبلان (1574-1635) ليواصل ما بدأه جاك كارتية، فقام برحلته الأولى إلى كندا في مارس 1603 ليعود إلى فرنسا في سبتمبر من السنة نفسها، لكن الهدف هذه المرة لم يكن الذهب كما كان مع كارتية بل تجارة الفراء و الصيد و الأخشاب و الزراعة و هو ما عمل عليه شامبلان الذي قام بإنشاء البنايات الأولى لمدينة كيبيك الحالية سنة 1608⁽³⁰⁾.

و منذ تلك اللحظة بدأ توافد التجار و الباحثين عن الخشب و الصيادين، و تبعهم رجال الدين من الجزويت. عندها أخذت المستعمرة تنمو و تتسع، اشترك و تعاون و تضامن رجل الكنيسة و رجل الدولة في تشييد صرح استعمارهم لكندا، فشئتوا حرب إبادة على قبائل الإيروكواس Iroquois المدافعة عن وجودها و عرضها و شرفها و قيمها، وعن هذا يقول المؤرخ غي دي بوشير: كان الفرنسيون يوقعون بهم قسوة أعتى و أشد ضراوة لكي يزحزحوهم عنها؟ كان الفرنسيون

فور وصوله إلى كندا، صعد دي روبرفال إلى سانت لورانت ليستقر في البنايات التي شيدها جاك كارتية بشارل-بور-رويال و قرر إنشاء قلعة أخرى قوية، مع بنائتين للسكن، و برج للمراقبة، و مطابخ، و مكاتب، و خزائن للمؤن، و جهّزها بأفران (قمن) و مطاحن و مقلاة، لكن فصل الشتاء كان جد قاس بحيث فقدت الحملة خمسين (50) شخصا بسبب مرض الإسقربوط، مما اضطر دي روبرفال إلى إرسال بعضا من مساعديه إلى فرنسا لطلب المساعدة و المؤن، لكن تجدد الحرب بين فرنسا و إسبانيا جعل فرانسوا يفقد اهتمامه بكندا، الأمر الذي أثر على دي روبرفال فأعاد منها بقايا المستعمرة في خريف 1543⁽²⁵⁾.

أما القارة الأفريقية فقد ظلت - بعد احتلال البرتغاليين مدينة سبته سنة 1415م و وصولهم إلى رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر - بعيدة لفترة من الزمن عن ميدان حركة التوسع الأوربي الأولى، و هذا لعدة أسباب منها: ضالة مواردها الاقتصادية التي لها علاقة بالأنشطة التجارية السائدة في تلك الفترة، حيث كانت تجارتهم تتركز في جزر الهند الشرقية الغنية بالتوابل و في العالم الجديد حيث قصب السكر. و لهذا اقتصر اهتمامهم على اختيار المناطق الصالحة لرسو السفن و أقاموا فيها مراكزهم التجارية و احتكروا التجارة مع الأفارقة.

غير أنّ التوسع التجاري⁽²⁶⁾ الذي رافق فترة حكم الملك فرانسوا الأول (1494-1547) دفع العديد من البحارة الفرنسيين إلى ارتياد سواحل القارة، حيث جابت سفنهم سواحل السنغال و هي ذات حمولة تتراوح من أربعين (40) إلى مائتين و خمسين (250) برميلا رسا البعض منها بالقرب من جزيرة ندار منها: لا برمييرال la Prumeralle سنة 1553م و لامول la Mulle سنة 1554م، و المغامرة الحسنة la Bonne

يردون على الفظائع التي يقتربها الإيروكوا بفظائع مماثلة أو أشد فلم يكن في ذلك ما يدعو إلى شيء من الاحترام، كان الإيروكوا قساة، و لكن الفرنسيين علّموهم أن يكونوا أشد قسوة و ألا يتورعوا عن شيء. و لم يأخذ الإيروكوا في إحراق النساء و الأطفال إلا عندما احتدوا حذو الفرنسيين في ذلك.⁽³¹⁾

استعصت قبائل الإيروكوا على رجال الدين الجزويت⁽³²⁾ الأمر الذي جعلهم يستعملون معهم القوة و القسوة البالغة مستخدمين في ذلك مختلف الوسائل بما فيها التعذيب و الحرق بالنار، و عن هذا يقول رجال الدين: «جاء يوم أيقن فيه الجزويت أنه من الأفضل أن تموت قبائل الإيروكوا، بل أن تموت على نحو يتسم بقسوة بالغة. فكلما زاد عذاب أحدهم أتيحت له فرص الخلاص، ففي هذه الحالة وحدها كان الفرد من قبائل الإيروكوا يطلب العمد». و قد كتب أحد رجال الدين الجزويت في كندا يقول أيضا: «من كان يظن أن التعذيب بالنار الذي كان يدعو أفضل المسيحيين غالبا إلى اليأس و يصيب إيمانهم بالاهتزاز، هو الذي يفتح الطريق إلى السماء أمام أعضاء قبائل الإيروكوا، و أنّ هذه القبائل كانت هي أفضل الوسائل لذلك و أكثرها يقينا؟ بل لقد بلغ من يقين هذه الوسائل و فاعليتها أننا لم نكن نحرق منهم، أحدا، منهم جديرا بدخول الفردوس، بالتأكيد، إلا إذا كنا قد أوقعنا عليه هذا العذاب»⁽³³⁾.

التوسع الفرنسي خلال القرن السابع عشر و سياسة الاستيعاب:

عمل الوزيران ريشيليو (1585-1642) و من بعده كولبير (1619-1683) على الدفع بفرنسا إلى ميدان التوسع و الغزو و الاستعمار ليمكنهما منافسة الإسبان و الإنجليز، و لذلك اهتمّا بالبحرية آخذين العبرة من تجربة الهولنديين و الإنجليز في ميدان التوسع و الاستعمار، فاستخدما شركات ميثاق مماثلة

للشركات التي سمحت للهولنديين احتكار في بضع سنوات تجارة الجلود و العاج و الصمغ و الذهب. بدأ المستعمرون يتدفقون إلى «فرنسا الجديدة»⁽³⁴⁾ منذ 1632، كما امتد التوسع ليشمل مناطق النفوذ الإسباني في جزر الأنثيل منها سان كريستوف و جواديلوب و سان دومينغ (هايتي)، كما لم يغفل الفرنسيون موطن البهارات، آسيا، فاستقروا في منطقة بوندشيري على الساحل الهندي سنة 1674 و في سنة 1686 توسعوا إلى شاندرناجور⁽³⁵⁾.

أما في أفريقيا فقد اهتمّ الفرنسيون بتدعيم وجودهم في المنطقة باستقرار الفرنسيين أوغسطين دي بوليو⁽³⁶⁾ و الفارس دي بريكوفيل عند مصب نهر غامبيا سنة 1612، و إنشاء شركات تجارية لاستغلال ثروات المنطقة منها الشركة النورماندية سنة 1626 و أيضا شركة باريس التي ظهرت سنة 1635م و الدافع لتزايد هذا النشاط هو البحث عن المواد الثمينة ذات الرواج الواسع مثل التوابل و الجلود و العنبر و العاج و زيت النخيل و الصمغ إضافة إلى الذهب و الرقيق. و في سنة 1638 دُعِمت الشركة النورماندية الوجود الفرنسي في السنغال بتشديد بناية صغيرة في جزيرة دي بوكوس بين مصب نهر السنغال و جزيرة ندار، و تمّ استكمال بنائها و تحصينها سنة 1643 لكن عاصفة بحرية قوية دمرتها و اقتلعتها سنة 1658 و في السنة الموالية 1659 تمكّن الفرنسيون من الاستقرار نهائيا في جزيرة ندار بإقامة بناية جديدة ضمت أبراجا و حصونا للدفاع عنها من هجومات محتملة من السكان المحليين و المنافسين الأوربيين أطلقوا عليها اسم قلعة سانت لويس تكريما للملك و هي التي أصبحت عاصمة لمستعمرة السنغال⁽³⁷⁾.

واصلت فرنسا في القرن السابع عشر و ما بعده بعث إرادة و روح الهيمنة المتأصلة في المجتمع الأوربي، من خلال مخططات و مشاريع هدفها انتزاع الأراضي

لإخراجهم من حياتهم البدائية و تغييرهم تغييرا كاملا شاملا ليصبحوا فرنسيين قلبا و قالبا من خلال الزواج بالفرنسيات و مع الفرنسيين و تربية أبنائهم تربية فرنسية خالصة. و كولبير في هذا الموضوع استلهم سياسته من سلفه ريشيليو (1585-1642) فكان لا يميّز بين الفرنسيين و السكان المحليين الداخلين في المسيحية، فكان يرى أنّ هؤلاء فرنسيون بالكامل يمكنهم المحيى للسكن بفرنسا و يمكنهم إذا بدا لهم ذلك حسنا القيام بمختلف المعاملات من اقتناء و توصية و وراثة و قبول هبات و وصايا⁽⁴²⁾.

و رغم هذا فإنّ ما وجد على أرض الواقع كان شيئا آخر، فالمصادر و المراجع لم تذكر حالة زواج واحدة مع هؤلاء (أي الهنود) خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر⁽⁴³⁾ كما أن عقلية الفرنسيين الموروثة عن أسلافهم الإغريق و الرومان و المشبعة بالتراث الكنسي كانوا يرون في إنسان تلك الأراضي أنّه بدائي و بربري و متوحش⁽⁴⁴⁾ لا يرقى بشريا و لا أخلاقيا و ثقافيا و حضاريا إلى مستوى الإنسان الأوربي الفرنسي، و عليه فإنّ على أهالي تلك الأراضي أن يستسلموا و يخضعوا لهم. و في الأخير ما يجب التذكير به أنّ الفرنسيين أعطوا لأنفسهم حق استعمار و استعباد و استغلال هذه الشعوب و نهب ثرواتها، و فرض نموذج حضارتهم عليهم و أشكال و نمط حياتهم و ديانتهم بالقوة و القمع بل بالإبادة إذا رفضوا الخضوع و الخنوع و الانصياع و استمر هذا الفعل خلال القرون الثلاثة اللاحقة في المنطقة فأنّج دولة أوربية جديدة خارج أوربا هي دولة كندا الحاملة لقيم غربية- مسيحية إنجليزية- فرنسية.

من أصحابها بالقوة و إبادتهم عرقيا و ثقافيا و طمس هوياتهم. كما عملت على إعادة تشكيل المنظومات الثقافية لهذه المناطق، و جعلها أكثر ارتباطا بالوطن الأم من خلال سياسة الاستيعاب كما هو حال منطقة الكيبك و مناطق أخرى منها المارتنيك و غويانا و غواديلوب و كاليدونيا الجديدة⁽³⁸⁾ إلخ.

اعتمدت فرنسا في هذه الفترة في تطبيق سياسة الاستيعاب هذه على تعمير هذه المناطق بالعنصر الفرنسي من سكان المناطق الغربية بالخصوص القريبة في لغاتها و عاداتها و تقاليدها و أعرافها و قيمها من لغة و عادات و تقاليد و قيم جزيرة فرنسا⁽³⁹⁾ و عليه فإنّ المستوطنين لجزيرة مونريال في غالبيتهم كانوا من سكان المناطق الغربية⁽⁴⁰⁾ الذين شكّلوا في سنة 1645 أول مجلس لهم تبنّى عادة باريس في المسائل القانونية⁽⁴¹⁾.

كما شهدت المنطقة توافد رجال الدين من طائفة اليسوعيين لنشر المسيحية الكاثوليكية بين جماعات الهنود الحمر، لكنهم لم يعملوا على استيعاب هؤلاء استيعابا كاملا في المؤسسة الاستعمارية الجديدة، و تركوهم يعيشون على حالتهم، و لم يبادروا بمنحهم أراض و سكنات مشتركة مثل الفرنسيين و معهم، و تربية أطفالهم تربية فرنسية و الزواج معهم و منهم، أي تشجيع الفرنسيات على الزواج من رجال هنود، أو زواج رجال فرنسيين من نساء هنديات. و لذلك فإنّ الوزير كولبير (1619-1683)، الساعي و المتحمّس لتعمير كندا و جعلها فرنسية قلبا و قالبا في أقلّ و أسرع وقت ممكن و بأقلّ التكاليف الممكنة لمنافسة الإنجليز الساعين من جهتهم لاستيعاب المنطقة في القيم الإنجليزية، و جّه تعليمات لحاكم كندا في 5 أفريل 1668م يدعو فيه إلى حتّ اليسوعيين على تغيير الطريقة التي ينتهجونها لإدخال الهنود في المسيحية التي يرى أنّها لا تحدم المسيحية نفسها و لا الدولة الفرنسية، بحيث يعملون برفق لدمج الهنود في المؤسسة الجديدة

خاتمة:

1 - غي دي بوشير: تشريح جثة الاستعمار، ترجمة أودار الخراط. دار الآداب بيروت، ص 169.

2 - مع اكتشاف العالم الجديد و توقيع اتفاقية تورديسيلاس يوم 07 جوان 1494 بين البرتغال و إسبانيا تحت رعاية الكنيسة، و دعم البابا ألكسندر السادس (1492-1503) و بداية توافد السفن الشراعية الإسبانية المحملة بالذهب و الفضة، جعل إسبانيا هي المستفيدة الوحيدة من خيرات البلاد الجديدة. الأمر الذي أدى إلى زيادة المجاهدة بين فرنسا و إسبانيا، و تحول عدد لا بأس به من رتّان السفن الفرنسية إلى قراصنة أصبحوا في خدمة الملك فرانسوا الأول، منهم جون فلوري Jean Fleury بخّار من هونفلور الذي استولى سنة 1523م على ثلاثة (03) مراكب سريعة Caravelles محملة بكنز الأزتك الذي أرسله كورتيز Cortez (1485-1547) إلى ملكه شارل الخامس، إضافة إلى خرائط بحرية ثمينة.

Françoise Labalette: quand New-York s'appelait Angoulesme,

Historia n° 743 novembre 2008 pp 66-67.

3 - غي دي بوشير: مرجع سابق ص 169.

4 - ليرة توروية Tournois Livres : عملة فرنسية قديمة مسكوك في مدينة تور على الطراز الملكي.

د. سهيل إدريس : المنهل. قاموس فرنسي- عربي، طبعة الثانية و الأربعون عام 2011 دار الآداب بيروت. ص 12.

5 - الأرض الجديدة Terre-Neuve: جزيرة، مقاطعة في كندا عاصمتها سانت جون، ميناء لصيد سمك غادس Morue كانت ملكية فرنسية من 1524 إلى 1713م، اكتشفها جون كابوت الإنجليزي سنة 1497م، زارها الملاح الفرنسي فيرازانو سنة 1524م، وتملكها باسم ملك فرنسا.

دفعت مغامرات الغزاة الإسبان في العالم الجديد من الذهب و الفضة ملوك فرنسا و الدوائر المهتمة بالمال و الثروة لخوض غمار مغامرات بحرية في المحيط الأطلسي⁽⁴⁵⁾ من أجل اكتشاف مناطق جديدة و بسط النفوذ الفرنسي عليها، و إنشاء مستعمرات جديدة كما فعل أسلافهم الإغريق و الرومان.

و لتحقيق أغراضهم في بسط الهيمنة و السيطرة الفرنسية على الأراضي الجديدة، أعطوا لأنفسهم الحق في فرض حضارتهم و ديانتهم و نط معيشتهم بالقوة على سكان هذه الأراضي و استعملوا معهم العنف و القسوة و الممجية من أجل إجبارهم على التخلي عن أراضيهم و قبول إملاءاتهم رافعين شعار هداية هؤلاء السكان المتوحشين إلى المسيحية، و أيضا لتبرير تجاوزاتهم و جرائمهم المرتكبة في حق هؤلاء. كما عمدوا إلى توطين الفرنسيين في هذه الأراضي و شجّعوهم على الاستقرار و الزواج و الإنجاب بكثرة من أجل تغيير المنظومة الثقافية لهذه الأراضي و جعلها أكثر ارتباطا بالوطن الأم، كما هو حال مقاطعة الكيبك بكندا و مقاطعات ما وراء البحر الأخرى مثل المارتنيك و غويانا و غواديلوب.

الهوامش

12) Eugène Guernier : op cit pp69.

.Ibid: pp69-72 (13

(14) لمزيد من التفاصيل حول التعويضات و العطايا المقدمة

Eugène Guernier: op cit pp: انظر: 74-72.
جلاك كارتنيه انظر:

15) Ibid: pp 72-73.

16) Ibid: p77.

(17) لمزيد من التفاصيل انظر:

Alphonse Gourd : les chartes coloniales et les constitutions des

États-Unis de l'Amérique du nord
Tome I , L'imprimerie nationale Paris
1885 pp 208-216.

18) Ibid : pp 217-220.

19) Eugène Guernier: op cit pp 78-79.

(20) الكلاس: عامل مسؤول عن فرن الكلس (الجص،
أو الجير)

21) Eugène Guernier : op cit pp 79-81.

(22) غي دي بوشير: مرجع سابق ص 170.

(23) الذهب لم يكن إلا نحاسا، انظر: Eugène
Guernier : op cit p 115.

(24) غي دي بوشير: مرجع سابق ص 170-171.

25) Eugène Guernier: op cit pp116-117.

(26) دفع التوسع التجاري و البحري في فترة الملك فرانسوا
الأول (1494-1547) الملاحين الفرنسيين المالكين للسفن

منذ القرن السادس عشر أصبحت ضواحي الجزيرة مرتادة من
قبل صيادي سمك غادس خصوصا من ميناء سانت مالو بفرنسا.
قدم الإنجليز إلى الجزيرة لمنافسة الفرنسيين، و أسسوا لهم مركزا
سموه سانت جون Saint-Jean سنة 1583م، و في سنة
1621 استقر الكولون الإنجليز في ناحية أفالون Avallon. و
في القرن السابع عشر تعددت المنشآت الفرنسية بالجزيرة، الأمر
الذي أدى إلى زيادة التنافس بين الدولتين و نشوب صراعات
و حرب بين سنتي 1689 و 1696، و في حرب الوراثة
الإسبانية 1702-1713 تنازلت فرنسا بموجب معاهدة
أوترخت عن الجزيرة لصالح إنجلترا ، لكنها بموجب المادة 13
من المعاهدة احتفظت بحق الصيد في ساحلها.

Jean Martin: Lexique de la colonisation française, édition Dalloz Paris
1988 pp 353-354.

6) Eugène Guernier: Jacques cartier
et la pensée colonisatrice Éditions de
l'encyclopédie de l'empire français
Paris 1946 pp 51-54.

7) Ibid : pp 57-59.

8) Ibid : pp 61-64.

9) الإسقربوط scorbut : و يسمى داء الخفر، هو
مرض عام و وباء سببه سوء النظام الغذائي يمس في الغالب
البحارة و السجناء.

Claude Augé et Paul Augé: La-rousse Élémentaire Illustré, librairie
Larousse Paris 1953 pp 722-723.

10) Eugène Guernier: op cit pp65-69.

(11) كاتاي Cathay): اسم أعطي للصين من
قبل مؤلفي العصور الوسطى.

Claude Augé et Paul Augé: op cit p
908.

- (30) غي دي بوشير: مرجع سابق ص 182.
- (31) نفسه ص 184.
- (32) الجزويت (اليسوعيون): جماعة دينية تأسست في عام 1534م من قبل الفارس الإسباني أجناسيوس دي ليولا Ignace de Loyola (1491-1556) بعد جرحه في إحدى المعارك، و عزمه على تكريس بقية حياته لخدمة الدين. كانت غاية الجمعية التبشير بالمسيحية و تأييد الكنيسة الكاثوليكية، و قد كثر أعضاء الجمعية بعد أن اعترف بها البابا سنة 1540م و نظمت صفوفها تنظيمًا عسكريًا صارمًا. اعتمد اليسوعيون على التربية لتحقيق أهدافهم، و اقتصروا على التعليم العالي من مستوى المدارس الثانوية و الكليات الجامعية لأبناء الطبقات العليا، لأنهم يريدون إعداد القادة الذين يسيطرون على المجتمع. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة ج 07 المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت 1994 ص 413.
- (33) غي دي بوشير: مرجع سابق ص 183-184.
- (34) فرنسا الجديدة: تسمية استعملت في عهد ريشيليو، إلى غاية القرن الثامن عشر لممتلكات فرنسا في أمريكا الشمالية.
- Jean Martin: lexique de la colonisation française, Dalloz Paris 1988 p 276.
- (35) غي دي بوشير: مرجع سابق ص 185-186.
- (36) أوغستين دي بوليو: Augustin de Beaulieu ملاح فرنسي ولد بروان سنة 1589 أرسل إلى السنغال سنة 1612 تحت رئاسة غيوم بريكوفيل لتأسيس مراكز تجارية عند مصب نهر غامبيا، فشل في مهمته بعد مقتل بريكوفيل، توفي بطولون في سبتمبر 1637.
- M. Prévost, Roman d'Amat: Dictionnaire de Biographie Française Tome
- الكبيرة بالخصوص إلى الإبحار و التجارة أبعد من جزر الرأس الأخضر، و هذا ما جعل ملك البرتغال جان الثالث (1502-1557) يتدخل لدى الملك فرانسوا الأول الذي منع سنة 1531 ملاحيه من التجارة أبعد من جزر الرأس الأخضر، و رغم هذا فإن العديد من السفن كانت تذهب للمتاجرة على السواحل الغربية لأفريقيا و حتى الكونغولية نفسها حيث النقيب دينوبو Dennebaut قال في مذكرة أنه كان معتاد التوجه إليها.
- كما أن هناك مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية يعود إلى سنة 1544 يعطي، فضلا عن ذلك، التعليمات الضرورية للتجارة على ساحل أفريقيا مع ملحق مفردات لغة فرنسي-غيني. و هناك خريطة لصاحبها غيوم لي تيسو Guillaume le Testu تعود إلى سنة 1555م تعطي فكرة جيدة عن الشكل العام لمدغشقر.
- Robert Cornevin: histoire de l'Afrique, tome 02, l'Afrique Précoloniale 1500-1900, éditions Payot Paris 1966 p 342.
- (27) H. Deschamps- M. Chailley: histoire Afrique occidentale Française (1638-1959) Berger Levrault Paris 1968 p 86.
- (28) بدأت التجربة الفاشلة للاستعمار في البرازيل سنة 1555م في خضم التغيرات و الأحداث التي شهدتها فرنسا في فترة الإصلاحات الدينية و الحروب الدينية التي تبعتها (1562-1598) بين الكاثوليك و البروتستانت، و انتهت بانسحاب الفرنسيين نهائيا من البرازيل سنة 1603. لمزيد من التفاصيل انظر: غي دي بوشير: مرجع سابق ص 172-175.
- (29) F.L.Schoell: histoire des États-Unis petits bibliothèques Payot Paris 1977 p 28.

tionale d'histoire du notariat n°106
Novembre / décembre 1996 p 33.

41) Michel vergé- Franceschi: L'État
français exporté outre-mer

In Historia spécial, janvier-février
2000 p14.

42) R. delavignette.Ch. André ju-
lien: les constructeurs de la France
D'outre-mer, édition corrêa Paris 1946
p149.

43) Jean- Marie Augustin : op cit pp
32-40.

44) المتوحشون: كلمة تداولها الغربيون منذ القديم إلى غاية
مطلع القرن العشرين في كتاباتهم و خطبهم الرسمية ، أطلقوها
على الشعوب التي لا تنتمي إلى العالم اللاتيني المسيحي ، و
منذ القرن السادس عشر على سكان العالم الجديد (أمريكا)
لتبرير نشر المسيحية و القيم الغربية و الإبادة التي تعرضوا
لها. كمثال على ذلك نذكر أنّ صامويل شامبلين (1567-
1635) الذي قام بعدة جولات في المنطقة و أشرف على

وضع أساس مستعمرة « فرنسا الجديدة » كان من الذين
دونوا هذه الكلمة في كتاب عنوانه:

متوحشون أو رحلة صامويل شامبلين من بروج.
Des Sauvages ou voyage de Samuel Champlain
de Brouage, fait en la France Nouvelle, lan
1603.

كما أنّ حكام فرنسا في تلك الفترة التاريخية ذكروها
في مراسلاتهم، و منهم الوزير كولبير (1619-1683)
في رسالته إلى حكام كندا: الأولى في 5 أفريل 1668م، و
الثانية في 17 ماي 1674. لمزيد من التفاصيل انظر:

R.delavignette. Ch. André julien: op

06 p1111.

37) Deschamps, M. Chailley: op cit
pp86-101.

38) شجع ملوك فرنسا الفرنسيين على الهجرة إلى المناطق
التي سيطروا عليها من أجل تعميرها و تغيير هويتها و
جعلها فرنسية قلبا و قالبا. فبسبب الإبادة التي تعرض لها
سكان هذه المناطق، إضافة إلى الاستغلال البشع و سوء المعاملة
و الأمراض التي نقلها الأوروبيون، عوامل كلها ساهمت في
اختفاء حضارات و ثقافات هذه الشعوب. و بروز حضارة و
ثقافة الرجل الأبيض. فهي اليوم أراضي و محافظات (مقاطعات)
تابعة لفرنسا، باستثناء كندا، و مقسمة قسمين، القسم الأول:
Département D'outre-mer. محافظات ما وراء البحر.

القسم الثاني: أراضي ما وراء البحر. Territoires
D'outre-mer عبد الوهاب الكيالي: مرجع سابق الجزء
الرابع ص 518-522.

39) جزيرة فرنسا: هي فرنسا القديمة عاصمتها باريس
كانت ضمن مقاطعات ليزن

L'aise, لواز L'oise, السين la Seine, السين و المارن
de Seine et- Marne, و السوم de la Somme.

Claude Augé et Paul Augé: op cit p
982.

40) المناطق الغربية: و هي أنجو Anjou، جزيرة فرنسا
Ile de France، نورماندي Normandie، أونيس Aunis،
مان Maine، بيرش Perche، يشكلون نسبة 72,3%

من مجموع سكان المنطقة في النصف
الثاني من القرن السابع عشر.

Jean- Marie Augustin: les premiers
contrats de mariage a Montréal De
1648 à 1664 et la coutume de Paris.
In le Gnomon, revue interna-

cit pp 149-155.

45) لم ينس و لم يهضم أحفاد الإغريق و الرومان الهزائم التي تلقوها على يد المسلمين في شمال أفريقيا و الأندلس و صقلية و بواتيه سنة 732م و من ثم طردهم من البحر الأبيض المتوسط الذي كان بحيرة رومانية و كانوا يطلقون عليه بحيرتنا Mare Nostrum. و لذلك عندما تمكّنوا من التحكّم في المحيط الأطلسي في القرن السادس عشر استرجعوا هذه التسمية ليطلقوا عليه: بحيرة أوروبا الغربية Mare Nostrum de l'Europe occidentale. للمزيد انظر:

Eugène Guernier: op cit p 26et s.